

# الريادة والمعرفة في النصوص (القرآن الكريم والسنة المطهرة)

بحث مقدم للمؤتمر الدولي (الريادة في المعرفة)

إعداد

د.

د. محمد بدوي القاضي  
محمد خالد العطار

2010/3/29

## المقدمة

المعرفة فاعلية ذهنية ومنتجا عقليا يتداخل فيها النسبي بالمطلق، والخاص بالعام،  
والذاتي بالموضوعي، والوهم بالحقيقي، لتظل المعرفة بمجملها بحاجة إلى المراجعة  
والتقويم.

حيث أن المعرفة الوضعية هي في فضاء تداولها العربي الإسلامي تؤسم بمعرفة منقولة بمعظمها عن الآخرين فكان لا بد من وجود إشكاليات معرفية وأيدلوجية مما يشكك في موضوعيتها وصلاحياتها لكافة المجتمعات والأفراد والزمان، وخصوصا الإنسانية المستمدة من فلسفات متعددة، مما يعني بأن هذه المعارف ما هي الا انعكاس لواقع معين وتجربة محددة وبيئة خاصة نمت بها، فكان الحكم على ايجابية هذه المعارف تتم في سياق بنائها الاجتماعي وخدمتها لأصالح منتجها مما يجرح في مصداقيتها وحياديتها.

ولنا في نصوص الكتاب والسنة المصدر الصادق للمعرفة والعلم، فقد جاءت هذه النصوص لتزويد الإنسان بصورة عامة والمسلم بصورة خاصة بالإخبار عن الأمم السابقة وكذلك الأحداث اللاحقة، وكذلك بالمعرفة والعلم الذي يحتاجه الإنسان في حياته الدنيا وما ينفعه في الآخرة، وربط هذا كله بقانون السببية، وهي تلازم شيئين وجودا أو عدما، فأحدهم يسبق الآخر، فالأول سببا والثاني نتيجة، وهذا يتفق مع عقل الإنسان الذي لا يعرف أمرا غير مربوطا بسبب، والذي أرسى القوانين العلمية وقاد إلى اكتشافها والوصول إلى خصائص الأشياء، قال تعالى (إنا مكنا له في الأرض وءاتيناه من كل شيء سببا) (سورة الكهف-84) .

ولتكتمل دائرة المعرفة والعلم الصحيح كانت مكونات العلم ومرتكزاته تعتمد على النقل الصحيح الذي هو كلام الله سبحانه وتعالى وأحاديث المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى عالية الصلاة والسلام، مع العقل الصريح الذي وهبه الخالق المبدع للإنسان فأكرمه به ليتفكر ويربط الأسباب بالمسببات ويهتدي إلى خالقة، والفطرة السليمة التي جاءت لتكون طريقا صحيحا يسلكه الإنسان وميزان يبين مدى الانحراف عن الحق، وهذا كله يجب أن يكون ضمن الواقع الموضوعي، المعنى بإمكانية تطبيقه في كل زمان ومكان. فكان القرآن الكريم نصوص بينة يدركها كافة الناس وكلّ يأخذ منها مقدار علمه، متجددة لا يحدها زمان أو مكان أخبرت في كل مجالات الحياة والعلم فكان الفتح البشري في آفاق العلوم والمعارف شاهداً على الحقائق العلمية والمعرفية المقطوع بها، والتي تتطابق مع الواقع، وعليها الدليل، والعلم التجريبي قال بها، فقد قال الجراح الفرنسي البروفيسور موريس يوكاي في كتابه (الأديان الثلاث في ظل المعارف الحديثة) بأنه لم يجد في القرآن الكريم ما يكذبه العلم أو قال بخلافه بل على العكس كان المرجعية في التصحيح والتعديل.

### أهمية الموضوع:

ترجع أهمية الموضوع إلى أهمية النصوص في القرآن الكريم والسنة النبوية في كونهما مصدرا أساسيا للمعرفة والعلم وعلى مر الزمان وحتى يرث الله سبحانه وتعالى الكون.

**يهدف الموضوع :** إلى بيان أهمية القرآن الكريم والسنة النبوية كمصدر للمعرفة والعلم، والاستفادة والتمعن في النصوص.

ولخدمة أهداف البحث, تم تقسيم ريادة النصوص إلى ثلاثة أقسام:

## أولاً الإنسان:

والذي وضعه الخالق سبحانه على قمة خلق الكون الذي حُكم وخلق وفق أنظمة بالغة الدقة فأحسن سبحانه خلقه حيث قال: (ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) (سورة التين آية 4) وسخر له ما في السموات والأرض فكان الإنسان أعقد آلة في الكون تتركب من خلايا تبلغ في جسم الإنسان البالغ مئة تريليون خلية, والخلية وحدة وظيفية, حيث تصنع البروتينات وبها مخازن تخزين بها المواد, وأجهزة تنظيف وأنايب توصيل ومولدات طاقة, هذا كله في وجود حي لا تدركه حواسنا, ويجب تكبيره مئة وأربعين مرة لكي نراه, ووزنها واحد من مليار من الغرام. يستهلك الجسم البشري من الخلايا في الثانية الواحدة 125 مليون خلية, وأعمارها متفاوتة ما بين ثلاث ساعات لخلايا البشرة, وخلايا الأمعاء الدقيقة التي تعيش لمدة 48 ساعة, وكريات الدم الحمراء التي تعيش لمدة 125 يوماً, وتتجدد كافة خلايا الجسم خلال خمس سنوات ما عدا خلايا القلب والدماغ. وتجدر الإشارة إلى أن كل نوع من هذه الخلايا مختلفة في وظائفها وردود أفعالها في حالة الانعكاس الشرطي.

وأن في كل نوع من هذه الخلايا نواه مسؤولة عن الإدارة, والأشراف, والقيادة وعلى هذه النواة ثلاثة وعشرون زوجاً من الموروثات, وهي مادة الحياة, وبها أسرار الوجود, وعلى هذه المورثات أو الجينات, معلومات تزيد على خمسة مليارات معلومة. وإذا أردنا أن نكتبها لبلغت صفحاتها مليون صفحة وكل صفحة تحتوي خمسة آلاف معلومة.

ولاتساع مجال هذا الموضوع وضخامة وعظم المعلومات التي يحتويها سنستشهد ببعض النصوص, وفي بعض المواضيع للاستدلال على ريادة النصوص في الأخبار عن الكثير من المعلومات في الإنسان قبل 1430 عام, الذي قال تعالى في ذلك (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) (الذاريات, آية 21), وهذا الإخبار المعرفي العلمي الذي توافقت معه العلوم التجريبية والفتوحات البشرية المتعاقبة عبر الزمان والمكان.

## ريادة النصوص في الإنسان:

### 1. في علم الأجنة:

يقول الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام "ما من كل الماء يكون الولد, إذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء" أخرجه مسلم (1438) لقد ثبت علمياً في الفترة الأخيرة أن عدد النطف المئوية في اللقاء الزوجي يزيد على ثلاثمائة مليون نطفة, وكل نطفة لها رأس, وعنق, وذيل, وتسبح في سائل يغذيها ويسهل حركتها, ونتيجة هذا العدد الهائل لتلقيح البويضة بحيوان

منوي واحد من 300 مليون، ويتم دخول النطفة إلى البويضة بأن تصطدم النطفة بجدار البويضة تمزق الغشاء، فتخرج مادة سائلة نبيلة مركزة في رأس النطفة تذيب جدار البويضة، فتدخل، وتغلق كافة الأبواب، وبذلك يكون الإتحاد من خلية ذكرية واحدة، وكذلك بويضة، وفي كل نواة خلية معلومات سماها العلماء الموروثات أو الجينات التي يزيد عددها على بضعة ملايين. فإذن ليس من كل النطف المنوية (الثلاثمائة مليون) يكون الجنين.

كما يخبرنا الرسول - عليه الصلاة والسلام - في حديث عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إذا مر بالنطفة اثنان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها) [رواه مسلم]

وقد جاء التقدم العلمي في مجال تصوير الأجنة حيث أمكنهم من تتبع نمو وتطور الجنين من بداية الحمل وحتى خروجه، فقد وجدوا في نهاية الأسبوع السادس ظهور تفاصيل معالم الرأس والأيدي الأرجل وتفاصيل في الرأس، ولو أخذنا بالحديث الشريف وما تم اكتشافه لوجدنا مدى المطابقة حيث أن حاصل ضرب 6 أسابيع × 7 أيام لكل أسبوع تكون النتيجة اثنان وأربعين يوماً، صدق المصطفى عليه السلام.

## 2. السمع والبصر:

من آيات الله سبحانه وتعالى الدالة على الريادة، التطابق العجيب بين ما وصل إليه العلم في السنوات الأخيرة من القرن المنصرم مع ما ورد بكتاب الله عز وجل بقوله (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا " (الإنسان: آية 2) ، وكذلك قوله تعالى ( قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم) (الأنعام آية 46) وقوله تعالى (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) (الملك آية 10) . وقد جاءت الآيات الكريمة تقدم السمع على البصر في سبع عشرة آية من الآيات التي اجتمعت فيها هاتين الحاستين، وفي الدقة البالغة في الصياغة التي جاءت تحديداً، قدم الخالق الرحمن جل جلاله السمع تقديم خلق وأهمية وتفضيل.

فقد قال العلماء أن الرحمن قدم السمع كونه أخطر في حياة الإنسان من البصر، لأن الإنسان يتلقى الأصوات من الجهات الستة، وفي الظلام والنور، والليل والنهار، ومن كان أصم كان أبكم، فالذي لا يسمع لا ينطق، والذي لا يسمع ولا ينطق يعتبر متخلفاً، وفي المقابل الكثير ممن فقدوا أبصارهم كانت بصائرهم طريقاً إلى الإبداع والعلم.

وهذا ما يثبت العلم حيث اكتشف العلماء أن الجنين في بطن أمه يتوضح عنده أماكن السمع والبصر في اليوم الثاني والعشرين من تلقيح البويضة، وعند الولادة تكون الشبكية مكتملة ويثبت الطفل عينيه على مصدر الضوء لكن المطابقة لا تتم.

وفي الشهر الثاني بعد الولادة، يتابع الطفل الجسم الذي يتحرك أمامه، وتكون رؤية الألوان في الشهر الرابع، والمطابقة تصبح تامة بنهاية الشهر السادس. وفي مقابل هذا وفي نهاية الأسبوع السادس والعشرون (سنة أشهر ونصف) وهو في بطن أمه يستمع إلى الأصوات، حيث يسمع صوت دقات أمه وحركة المشية، والنبض... وقد سجل العلماء أصوات ضربات القلب وحفيف المشية للعديد من الأمهات بل الولادة وأسمعوها للأطفال (كل لأمه) وقد كان يبكي فسكت.. سبحان الله

### 3. مراحل الحمل الثلاث:

أكتشف علماء الطب بأنه وفي اليوم السادس والعشرين بعد المئة، أي في اليوم العاشر بعد أربعة أشهر ينبض قلب الجنين في بطن الأم، ومع هذا النبض يتحرك قلبه، تشعر الأم بهذه الحركة، وقد سموا هذه المرحلة بمرحلة اليقين، لكون هذا دليل قطعي على الحمل وقالوا بأنه قبل هذه المرحلة تكون للمرأة مرحلتين لا يمكن التأكد فيهما من الحمل.

فالمرحلة الأولى تكون مرحلة الشك، وفيها ينقطع دم الحيض وهذا الانقطاع ليس بالضرورة أن تكون إشارة إلى الحمل، فقد تكون أخرى مثل الإضرابات النفسية، أو الهرمونية، أو اختلال في الجهاز التناسلي.

وبعد هذه المرحلة تدخل المرأة بمرحلة سميت مرحلة الظن، حيث تأتيها أعراض، كالشعور بالكآبة، والقيء والغثيان، وهي أعراض الوهم، ولكن هل تعد هذه المرحلة دليلاً على الحمل؟ يقول العلماء ليس بالضرورة فقد تكون هذه الأعراض هي أعراض الحمل الكاذب.

إذن الحمل القطعي يكون بعد (أربعة أشهر وعشراً) (والذين يتوفون منكم ويزرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) (البقرة: آية 234) سبحان الله هذه الحقائق العلمية تنطبق مع ما ورد في القرآن الكريم انطباقاً مذهلاً، لكن بعد ألف وثلاثمائة وثلاثون عاماً.

### 4. بصمات أصابع الإنسان البنان:

تعتبر بصمة الإنسان سجل هوية وتوقيع، اكتشف العلماء أن بصمة الإنسان تحمل مائة علامة، وإذا توافقت اثنتي عشر علامة في بصمتين لكانتا لنفس الشخص وإن احتمالية ذلك هي واحد إلى أربعة وستين ملياراً. وتتكون البصمة في الشهر السادس من عمر الجنين، وتبقى حتى مماته، وإذا أزيلت كلياً أو احترقت ونبت اللحم مرة أخرى عادت البصمة لما كانت عليه، وقد عمد الكثير من المجرمين لإجراء عملية لإزالة البصمة ولكنها ما تلبث مع

عودة اللحم إلى نفس البصمة القديمة, وهذا تصديقاً لقوله تعالى (أحسب الإنسان أن نجمع عظامه\*بلى قادرين على أن نسوي بنانه) (القيامة الآيات 3-4):

## 5. الإحساس:

بقي العلم يقول أن مراكز الإحساس موجودة في الدماغ (المخ) وان الجلد خالي من هذه المراكز, إلى عهد قريب, حيث تبين فيما بعد أن مراكز الإحساس بالعذاب والآلام موجودة في الجلد, وان كل سنتمتر مربع يحوي أكثر من 18 خلية حسية, وقد أخبر القرآن الكريم بهذه الحقيقة العلمية قبل 1430 سنة, بقوله تعالى (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) (النساء آية 56)

## ثانياً: الريادة والمعرفة للمخلوقات الأخرى:

1. النحل: قال تعالى (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون<sup>(68)</sup>) ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم ينتفرون) (سورة النحل) (69)

إن حمولة النحلة من رحيق الأزهار تبلغ ثلثي وزنها, ويحتاج كغم الواحد من العسل إلى طيران أكثر من 400 ألف كم, أي ما يعادل عشر أضعاف محيط الأرض.

وقد جاءت الآية الكريمة بصيغة التأنيث, كون العاملات هن صانعات العسل وليس للذكور أي دور في ذلك, وهذا إخبار من الله سبحانه وتعالى بأن العاملات هن صانعات العسل.

2. النمل: حشرة اجتماعية تخضع في معاشها إلى نظام دقيق لكل فرد من أفرادها وظيفة تقوم بها وبانضباط مدهش, ولها مساكن يعيش فيها, مقسمة إلى غرف معيشة ومستودعات لتخزين مؤنه الشتاء تصل إليها عبر ممرات ودهاليز معقدة, يتناوب عليها حراس بصورة دائمة, قال تعالى: (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) [النمل: 18]. وفي الآية الكريمة جانبان:

• الأول: أن الخطاب جاء مذكراً, كون جماعة النمل فيها الذكور والإناث, وإذا أردت مخاطبة مجتمع فيه ذكور وإناث مجتمعين تستخدم ضمير الذكورة, وهذا سبق في أن النمل يعمل فيه الذكور والإناث معاً, بينما في النحل المخاطب مؤنث.

- **الثاني:** جاء النص (( لا يحطمنكم سليمان وجنوده) والتحطيم يستخدم في ما هو مصنوع من الزجاج, وقد اكتشف العلماء حديثاً أن أكثر من 70% من تركيبية النمل زجاج فسبحان الله الذي خلق فأتقن؟

**3. البعوضة:** قال مولانا العظيم: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} (البقرة. آية 26).

لم ضرب رب العالمين سبحانه مثلاً ببعوضه؟ يقول المفسرون لهوانها على الناس والتفكير في أدنى واصغر المخلوقات, فيقول الإنسان لذاته: نستطيع أن نصنع طائرة بسرعة هائلة وبأحجام ضخمة مزودة بأحدث التقنيات, فأين البعوضة من هذه الاختراعات؟ وتبين عظم الإخبار عندما نكتشف أن البعوضة عل صغرها وانحطاط مكانتها لإعجاز عظيم يتجاوز ما نتصوره, ويذهل الإنسان عما تحمله وعما تستطيعه وهي بهذا الحجم, حيث نجد أن في رأسها مئة عين, وفي فمها ثمان وأربعون سنناً, ولها ثلاث قلوب, مركزي في صدرها, وفي كل جناح قلب يحتوي كل قلب على أذنان وبطينان.

كما تملك مستقبلات حرارية تصل حساسيتها 1000/1 من درجة الحرارة المئوية, كما تملك جهازاً لتحليل الدم, ولها خرطوم فيه ست سكاكين, أربعة منها لعمل جرحاً, والخامس والسادس تكونان أنبوباً لامتصاص الدم.

كما لها وسائل هبوط على كافة أنواع السطوح, سواء كانت خشنة أو ملساء أو رطبة, هذه الحشرة هي تصميم حي للطائرات المروحية, ما زال العلم يكتشف ما لا يصدق في هذه الحشرة.

**4. الذبابة:** قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ \* مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } {الحج. الآيات 73 - 74}

إذا كانت البعوضة وحي لتصميم الطائرات المروحية فالذبابة وحي لتصميم الطائرات المقاتلة, وهي حشرة مقاتلة مزعجة تثير الاشمزاز وتسبب الإيذاء والأمراض, ولا يستطيع الإنسان أن يتخلص منها فكلما صنعوا مبيداً وظنوا أنهم استطاعوا أن يقضوا به عليها, كان الجيل القادم قد صنع مضاداً للمادة, فهو الأسرع في صنع المضاد وما يكسبه المناعة ضدها, وليس هذا فقط, بل يكون الجيل القادم مقاوم لكل التغيرات التي طرأت وأثرت على السلف.

وما أن ننتقل من الوصف الخارجي والسلوك لهذه الحشرة الأعجوبة التي التدقيق بها نجد ما لا يصدق, فعند تكبير عين الذبابة مئات المرات, كانت هناك آلاف العدسات المرصوفة بعضها إلى جانب بعض تحقق للذبابة رؤية كاملة, وحينما

قاسوا سرعتها بالنسبة إلى حجمها ووزنها كانت سرعتها فائقة جداً وحركتها مذهلة.

كما كشف العلم أن الذبابة لديها القدرة الهائلة في تحليل المواد التي تتغذى عليها في لعبها، بحيث تحلل المواد الغذائية إلى مركباتها الأساسية بسرعة كبيرة بحيث لا تعود هناك صفة من هذه المواد، فيقول سبحانه وتعالى (وَإِنْ يَسْأَلُكَ الدَّابُّ شَيْئًا لَّا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ) .

وعلى الرغم مما تسببه هذه الحشرة من نقل الأمراض والإزعاج النفسي لارتباطها بالقذارة، إلا أن لها دور كبير في تنقية الهواء لقضائها على العضويات المتفسخة والنفايات المتعفنة.

وحديث الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام يخبر عن جانب مهم في الذبابة في حديثه ( إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينتزه فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء ) (أخرجه البخاري وابن ماجه وأحمد) والرسول الكريم هنا يبين لنا أنه في حال عدم وجود بديل لهذا الشراب وقد يكون ضروريا كالماء في الصحراء .... فهناك العلاج، حيث أكد العلم الحديث أن في أحد جناحي الذبابة الميكروبات الضارة، فإنها تحمل مادة ترياق مضادة في الآخر.

وقد ورد أن أبو جعفر المنصور سئل أحد علماء السلف لما خلق الله الذباب وهو مزعج ومضر، فقال له العالم: لإذلال أنوف الطغاة، فخرج من نفسه، وعلم بأن كل فتكه وجبروته وقسوته وسطوه ذليل أمام هذه الحشرة الصغيرة من خلق الله.

## 5. العنكبوت: يقول سبحانه وتعالى(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ

الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (العنكبوت:41) سبحانه ربنا، هذا إخبار وتحدي وريادية ليست فقط للعلماء بصورة عامة، بل لعلماء الحشرات والمتخصصين منهم في هذا المجال.

لقد جاءت الآية الكريمة تأنيث من يبني بيت العنكبوت، وبذلك استثناء للذكر، وقد بينت الآية أن الوهن له جانبان، وهن في التركيب فلا يقي حراً أو برداً، وليس مقاوماً كبيراً، والآخر أن القائم على البناء هي الأنثى والتي تأكل الذكر بعد التلقيح إن لم يفر، وكذلك تأكل أولادها إن لم يفر، فهو ضعف في البيئة، وضعف في الروابط بين مكونة الإجماع، وهذا ما بينه العلم بأن الأنثى هي التي تغزل البيت هي التي تفتك بالذكر المُلقح والأولاد.

## ثالثاً: ريادة النصوص في الأفق والكون:

أن ريادة النصوص في الأفق والكون متعددة لا يمكن أن تنحصر في ورقة، ولذلك سيصار إلى اختيار ما هو معروف وأثبت بما لا يدعو الشك فيه ويدركها كل ذي لب، وهو حقيقة مقطوع بها، تطابق الواقع، وعليها الدليل، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار ريادة هذه المعلومات وعظمتها إذا علمنا بأنها كانت منذ 1430 سنة.



يقول تعالى في كتابه العظيم ( سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ) (فصلت. آية 53) وفي التفسير (سنريهم) وليس أريناهم , وسنظل نقرأها, سنريهم إلى قيام الساعة, والذي معناه أنه وفي كل يوم لا بد وأن يكون فيه جديد يُكتشف, ولا يحوز التعجيل, كما لم يقل الرحمن سنريهم آياتنا في الأرض.... ولا في الأفق, بل قال في الأفق.... وإن ما سيصلون إليه من حقائق الكون بعد مئات وآلاف السنين بنشاطاتهم الذهنية وبأخذهم بالأسباب قد أشار إليه القرآن.

وهنا يجب توضيح أن القرآن الكريم لم يأت ككتاب علم, بل أتى ليعلمنا الأحكام والمسببات, وليعطي الكون جانبا من الثبات ليمهد إلى اكتشاف القوانين والوصول إلى خصائص الأشياء.

## 1. الأرض: (كروية الأرض ودورانها)

قال تعالى ( يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ) (الزمر: 5) ومعنى يكور لف أشياء على كرة فنقول: كورت هذا القماش, أي جعلته يأخذ شكل الكرة, وفي هذا المعنى يفسر الشيخ الشعراوي قوله (يكور الليل على النهار) أي يجعلهما يحيطان بالأرض, وهي بذلك على شكل كره, ولم تأتي يكور الليل ثم يكور النهار.... ولكن سبحانه وتعالى (يكور الليل على النهار) وتفيد إنهما موجودان في نفس الوقت حول الكرة الأرضية التي يبلغ محيطها تقريبا 40,000 كم (24,855 ميل), وهذا لم يعرف إلا مؤخراً.

ويقول تعالى جل جلاله ( وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ) (النمل. آية 88) ومعنى تحسبها حسبان وليس حقيقة, وهناك نظرية تنص على أنه لا يمكن أن يقاس المتحرك إلا بمقارنته بالثابت, وفي حال الأرض فإنها تدور والمواقع فوق سطحها ثابتة, وبذلك فإننا لا نشعر بها ونحسبها جامدة.

ويقول المفسرون والعلماء أن استخدام (مر السحاب) اختيار دقيق جداً, لأن السحاب لا يتحرك ذاتياً, وبذلك لم يقل الرحمن تمر مر الرياح أو العواصف أو الأمواج, وهذه كلها حركتها ذاتية, وتنتقل من مكان لآخر, بل قال (مر السحاب) كون الريح هو المحرك لها, فهي تنتقل بانتقال الريح, ولهذا لم تأت الآية بتسيير أو تجر أو تتحرك أو تمر من مكان لآخر, وهذه الدلالة على أن الجبال لا تتحرك ذاتياً, بل تتحرك مع حركة الأرض التي هي تتحرك ذاتياً, وبما أن الجبال وما على الأرض كله يتحرك بحركة الأرض, فإننا نحسبه ثابتاً, وبذلك فإن الأرض تدور. فهي تدور حول نفسها بسرعة في خط الاستواء 1600 كم/الساعة, أي نصف كم / الثانية, وتدور دورتها حول الشمس بسرعة 30 كم / الثانية.

## 2. الأرض والقمر:

يدور القمر حول الأرض في كل شهر قمري مرة واحدة, ويدور حول نفسه بنفس الوقت ومساوٍ لدورته حول الأرض, مما يعني أننا لا نرى إلا وجهاً واحداً للقمر طول الوقت, وتبلغ دورته هذه في حدود تسعة وعشرون يوماً وثمانية ساعات, ويقطع في كل يوم من دائرة سيره من فلكه حول الأرض ثلاث عشر

درجه, وبذلك يتأخر في شروقه عن اليوم السابق تسعاً وأربعين دقيقة, وبذلك نجده في مراتبه كلها ليصبح تقويماً لعدد السنين والحساب, يقول سبحانه وتعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) (يونس. آية 5).

وقال تعالى (وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) (نوح. آية 16) فقد ميزت الآيات الكريمة بين الشمس التي وردت في الآيات ضياء, وسراجاً والذي يعني مصدر للضوء ولا يتغير شكلها وإنما بدورة الأرض حولها تكون ساعة يومية تحسب من نقاط الزوال والشروق, وتوسطها السماء طهراً في ذلك ساعة. وقد ورد القمر نورا للدلالة على أنه عاكس للضوء وليس مصدراً له, وبذلك فقد أخبر القرآن الكريم بأن الشمس مصدراً للضوء والقمر عاكساً لهذا الضوء. وفي تعدد مراحل القمر ومراتبه من هلال, إلى رُبُع, عرجون ثم إلى غياب كامل وعودته مرة أخرى هلال يكون قد انقضى شهراً قمرياً, فهو بذلك تقويماً. وتقويم العرب والمسلمين قمري, ويمكن من خلال حساب ما يقطعه القمر حول الكرة الأرضية في مدة ألف سنة مما نعد إيجاد سرعة الضوء وذلك من قوله تعالى (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) (السجدة. آية: 5)

فما يقطعه القمر في 1000 سنة = 2 نق ط × 12 × 1000

نق (نصف قطر البعد بين القمر والأرض الذي يبلغ في حدود 343400 كم) ط (النسبة التقريبية وتساوي 7\22) وبذلك تكون المسافة المقطوعة في 1000 سنة تساوي:

$$2 \times 343400 \times (7\22) \times 12 \times 1000 = 60 \times 60 \times 24 \times \text{السرعة}$$

التي نقطعها الضوء في الثانية 25902072000

$$= 86400 \times \text{السرعة في الثانية}$$

$$25902072000 \setminus 86400 = \text{السرعة} \setminus \text{الثانية}$$

$$299792.5 = \text{وهي السرعة المعلنة دولياً للضوء}$$

كما تجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم قد أخبر بالعلاقة بين السنة القمرية والسنة الشمسية في حساب بالغ الدقة, قال تعالى (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) (الكهف. آية: 25) وهذا الإخبار يبين أن الثلاثمائة سنة شمسية تساوي ثلاثمائة وتسع سنوات قمري, فالسنة الشمسية 365 يوماً, والعمرية 354 يوماً, وهذا لم يكن معروفًا في السابق.

### 3. مواقع النجوم:

يقول الحق (فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسام لو تعلمون عظيم) (الواقعة. الآيات 75-76) في بداية الألفية الثالثة, أرسلت مركبة فضائية محملة بمرصد عملاق يتجاوز قطر عدسته الثمانية أمتار إلى الفضاء الخارجي وتسير بسرعة مذهلة حسب

قياساتنا تزيد عن الخمسين ألف كم/ الساعة. وقد قامت المركبة بإرسال صور المجرة تبعد مئات المليارات من السنوات الضوئية. وقد كانت المعلومات المتوفرة قبل ذلك تقول بأن أقرب نجم ملتهب يبعد عن الأرض أربع سنوات ضوئية, أي أن البعد يساوي :  
 $(4 \times 300000 \times 60 \times 60 \times 24 \times 365)$  أي في حدود 37,843,200,000,000 كم.  
وبذلك تحتاج المركبة السابقة إلى ما يقارب نصف مليون سنة للوصول إلى ذلك النجم بسرعة 50000 كم/س.  
كما كان تقدير أقصى مجرة عن الأرض عشرون ألف مليون سنة ضوئية, وأن سرعتها قدرت بأكثر من مائتين وأربعين ألف كم/الثانية, وبذلك فعند تصويرها تكون في مكان بعيد جداً عما تظن بأنه مكانها.  
وعليه فإننا نرى مغيب الشمس بعد أن تكون قد مضى على غيابها ثمانية دقائق, وبذلك فإن كافة الصور التي أخذت للنجوم والمجرات في حقيقة الأمر ليست صحيحة بالمواقع الموضحة على الخرائط الفلكية.

#### 4. التوافق العددي في القرآن:

لقد ورد كلمة البر (اليابسة) في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة, وكلمة البحر ثلاثاً وثلاثون, وإذا نسبنا كلمة البر إلى مجموع البر والبحر في الآيات الكريمة, كانت نسبة البر إلى البحر هي نفس نسبتها على الأرض.

#### رابعاً: الريادة والمعرفة في الاقتصاد:

**أولاً:** إن التوجه القرآني يحرص على أن يطّبع السلوك الاقتصادي بالإنساني الذي يشكل هدف الاقتصاد, فالإنسان هو هدف الاقتصاد ومكونه. فالعملية الاقتصادية نشاطاً بشرياً مستمراً التكرار تحكمها القوانين الاجتماعية والعقائدية (الإيديولوجية) التي تختلف عنها في أي ملائمة اجتماعية أخرى من حيث أن العلاقة في عملية الإنتاج هي علاقة بين العمل المبذول وكمية الإنتاج (إنتاجية العمل) المرتبطة بدالة الحلال والحرام.

**ثانياً:** تبدأ عملية التوزيع والمقصود بالتوزيع الوظيفي والذي يعتمد كمية المنتج كجهد عمل محدد للأجر في الحالة العادية وبين المدفوع من قبل رب العمل بصورة اجر نقدي من الفرد الذي يساهم في العملية الإنتاجية كأجير يتسلم حصته من الإنتاج على شكل نقدي (الأجر), هذا بالإضافة إلى أن الطابع الإنساني لهذه العملية (التوزيع) اقتضت إدخال أنماط جديدة من التوزيع تحقق إنسانية الإنسان وكرامته.

**ثالثاً:** علاقة التوزيع التبادلية التي تربط بين رب العمل (المالك للسلطة أو الخدمة) وبين المستهلكين (المستخدم للقيمة الاستعمالية للسلعة والتي

حُكِّمَتْ بِصُورَةٍ دَقِيقَةٍ لِتُرَاعَى كُلُّ أَطْرَافِ السُّوقِ، سِوَاءِ الْمُنْتَجِ أَوْ الْمُسْتَهْلِكِ، كَوْنِ الْاِقْتِصَادِ هُوَ تَفَاعُلُ الْإِنْسَانِ مَعَ عُنَاوِرِ الْإِنْتِاجِ الْآخَرَى، وَالْإِنْسَانِ مَعَ الْبِيئَةِ الْمَحِيطَةِ وَالْمَوَارِدِ الْمَتَاحَةِ، وَكَيْفِيَةِ اسْتِغْلَالِهِ، وَعَلَيْهِ نَشِيرُ إِلَى بَعْضِ مَا وَرَدَ فِي النُّصُوصِ فِي مَحْتَوَى الْاِقْتِصَادِ، فَمِنَ الْمُنْطَلِقَاتِ السَّابِقَةِ يُمْكِنُ وَضْعُ الْأَسْسِ التَّالِيَةِ لِلْاِقْتِصَادِ الْإِسْلَامِيِّ:

1. أن الملك المطلق لله سبحانه وتعالى، وأن الإنسان وكيل ومستخلف في هذا الملك أو جزء منه، يقوم برعايته، واستخدامه بما أمر المالك الحقيقي، قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ حَلَائِفَ الْأَرْضِ) (الأنعام 165)

2. أن الله سبحانه وتعالى سخر ما في الكون لتحقيق مهمة الاستخلاف، وهي العمارة وعبادة الرحمن، ولصالح حياة الإنسان ومزاولة نشاطه الاقتصادي والاجتماعي والحياتي برمته، فكان ما خلق الله سبحانه وتعالى من المخلوقات وتعاقب الليل والنهار. قال تعالى في سورة إبراهيم (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ) (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33) وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34) .

3. أن هناك تفاوت في الرزق بين العباد، والذي يعني حركة الحياة ولكي يباشر الفرد نشاطه الاقتصادي، فلو تساوى الأفراد في الرزق لم استطاع فردا استخدام الآخر في عمل، ولفسدت الأرض، وهذا لا يعني التفضيل في غير هذا الموقع. قال تعالى (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) (الشورى: 27).

4. مزاولة النشاط الاقتصادي عبادة، وإن المتخلف عن مزاولة النشاط الاقتصادي وهو قادر فهو آثم. قال تعالى (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) (الجمعة آية: 10)، وقوله تعالى (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك آية 10)، وفي الآية الأولى (فانتشروا) قال العلماء هو أمر بالسعي وطلب الرزق، وكذلك في الآية الثانية، قال العلماء (فامشوا في مناكبها) هو أمر بعد أن طوعت الأرض للإنسان بما فيها من خيرات ومما أعطي الإنسان من قدرات، وقد قال الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام (ومن الذنوب لا يحوها إلا العمل)، وكذلك قوله عليه السلام (من بات كل من تعب يديه غفر الله له ما تقدم من ذنبه).

5. إن الإسلام لا يقبل بالغاية دون الوسيلة، فهو يهتم بالغاية والوسيلة، يقول الحق (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (القصص آية 77) وبذلك نجد أن رب العالمين يبين لعباده من خلال قصة قارون أن الوسيلة والغاية يجب أن يكونا صالحتين، ويقول تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا

صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) (البقرة. آية 264), وقول الرسول عليه الصلاة والسلام (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً), وبذلك يجب توخي العمل الصالح الحلال في الأعمال والتي يجب أن تكون حلالاً وسيلةً وكذلك غايةً, وهذا ما تنص عليه قاعدة الترجيح المُسماه بسد الذرائع.

6. الأصل في النشاط الاقتصادي (المعاملات) الإباحة ما لم يرد نص في التحريم, وهذا يوسع النشاط الإنساني الاقتصادي ليطال كافة ما هو حلال ومستحدث, يقول تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) (الأعراف. آية 32), وقوله تعال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ) (المائدة. آية 87).

7. إن الهدف من النشاط الاقتصادي تحقيق إنسانية الإنسان وكرامته مما يقر دالة المصلحة الجماعية على دالة المصلحة الفردية وترتيب دالة الإنتاج حسب أولويات هذه المصلحة حيث تُنتج الضروريات, فالحاجيات, ومن ثم الكماليات.

1- دالة الإنتاج: وهذه الدالة تخضع إلى دالة الحلال والحرام, حيث أحل الله سبحانه كافة المعاملات, فالأصل في النشاط الاقتصادي (المعاملات) الإباحة ما لم يرد نص بالتحريم, وبذلك فإن دالة الإنتاج مرنة وواسعة, وضبطت بمحددات وعوامل لم تُعرف في الفكر الاقتصادي إلا حديثاً

1:1- استغلال كافة الموارد المتاحة وما رزق رب العالمين والعمل على تنميتها يقول تعالى (الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) (إبراهيم. الآيات: 32,33,34) وتخبر الآيات الكريمة بأن الله سبحانه وتعالى سخر ما على الأرض وما في بطنها للإنسان لاستغلالها والانتفاع بها, وذلك لقوله تعالى (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان) (البقرة. آية 168), ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام (ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كانت له صدقة)<sup>1</sup>, ويقول عليه الصلاة والسلام (فمن أحيا أرضاً ميتة فهي له, وليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنوات)<sup>2</sup>, وبذلك نجد أن الإسلام حث على استغلال الموارد ووضع لمن يقوم عليها بالأجر في الدنيا والآخرة (أي أن الحوافز مضاعفة).

1:2- التطوير وتحقيق التقدم الفني في الإنتاج: قال تعالى (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا

<sup>1</sup> الألباني. الجامع الصغير, القاضي أبو يوسف, كتاب الخراج والفتح الكبير, المجلد الثاني, ط2, 1986, المكتب الإسلامي, المطبعة السلفية رقم 1382.

<sup>2</sup> المرجع السابق, ط3, رقم 1110

اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) (الكهف. الآية: 96), وقال تعالى (فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ) (يوسف. الآية: 47).

وتنبين من الآية الأولى تطوير الحديد إلى الفولاذ، الذي هو أقوى، ويقاوم الماء والعوامل الطبيعية من رطوبة وحرارة.

والآية الثانية تدل على الغنى والمعرفة في خصائص الأشياء، مما دعا نبي الله يوسف عليه السلام أن يطلب منهم ترك القمح في سنبله، ولغلاف القمح دور كبير في حفظ حبة القمح من العفن والتلف، وهذه تقنية في التخزين تديم عمر الإنتاج وبأقل التكاليف.

ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم (أن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) والإتقان درجة أعلى من الإنتاج، والتقنية مأخوذة من الإتقان، وهذا سبق في التطوير والجودة.

**3:1- الاهتمام بالأعمال ذات المعنى الاقتصادي الإنتاجي السوي.**

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة. آية 90)، وقال صلى الله عليه وسلم (لعن الله الخمر شاربها، وساقيتها، وبائعها، وبمتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وأكل ثمنها) (أبو داود). ونجد بأن النصوص قد نبهت وأخبرت بالعوامل المحببة للإنتاج ومدخلاته، وأن الاستغلال الاقتصادي للإنتاج يجب أن يركز على النافع والمفيد وغير الضار لكافة أفراد المجتمع وطبقاته، وهنا قد بينت النصوص إلى أن العائد ليس المحدد للإنتاج، وإنما القائد الاجتماعي المقارن بالتكاليف الاجتماعية التي لم تكن معروفة حتى سنوات قليلة خلت، يقول سبحانه وتعالى (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ) (المائدة. آية: 100)، ويمكن صياغة دالة المعنى الاقتصادي والعائد من منظور إسلامي كما يلي: (النفع العام، طيب، خبيث....)

### **ثالثاً: السوق وتسويق الإنتاج:**

تجيء السوق في المرتبة الثانية بعد المسجد في حياة المسلمين، فهي موضع التعامل مع الناس على أساس الأحكام والآداب المتعلقة بالبيع والشراء، ودخول السوق الخروج منها. وقد قال علماء المسلمين أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، والأسواق هي موضعاً آخر للتعامل مع الله سبحانه وتعالى إذا صلحت النوايا وحرص البائعون والمشترون على أن لا ينسوا الله ما داموا فيها. وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم عند اختياره السوق في المدينة (هذا سوقكم فلا ينتقصن ولا يضربن عليه خراج)3، والخراج هو الأتاوه أو الضريبة. وقد كان الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كثير الارتياح لهذه السوق وتفقد أحولها والوقوف على ما يجري فيها.

والسوق المثلى الإسلامية وضعت لها ضوابط للحيلولة دون انحرافها، وهي :

<sup>3</sup> سنن ابن ماجه - كتاب التجارات الحديث 2303

1. النهي عن النقص في المكيال والميزان، قال تعال (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ \* وَإِذَا كَالُواهُمْ أَوْ وَزَنُواهُمْ يُخْسِرُونَ) (المطففين: الآيات: 1,2,3)، هذا فيه أكل لحقوق الآخرين، وإنقاص قيمة النقد، وقال عليه الصلاة والسلام لأصحاب الكيل والوزن (إنكم قد وليتم أمراً فيه هلكت الأمم السالفة قبلكم) (الترمذي، 2573)، وكان أن قامت الحسبة التي تراقب الأسواق في هذه وفي غيرها مما يأتي.
2. النهي عن أكل الربا، والذي يفرضي إلى زيادة أسعار السلع ويقلل من البيوع واستغلال الموارد ويثقل كاهل المجتمع، وما الأزمة المالية الحالية ببعيد، وما كان من الربا ومصائبه، قال تعال (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) (البقرة: آية 276). كان حجم الأزمة المالية في عام 2008 لا يتجاوز تريليون ونصف، وفي آخر الإحصاءات أن ما تم ضخه وحقنه للاقتصاديات المختلفة يتجاوز 6 تريليونات، قال تعال (فَلَكُمْ رُؤُوسٌ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) (البقرة: 279)، وفي ذلك انتعاش الاقتصاد وزيادة حجم الإنتاج، معالجة الباطلة والتضخم.
3. النهي عن الغش والتدليس، قال صلى الله عليه وسلم (من غش فليس منا) (رواه مسلم) والغش يشمل أن يثني البائع على السلعة بما ليس فيها، ويخفي ويكتم عيوبها وصفاتها، وكذلك وزنها، وأن لا يقول ما ليس فيها، والذي يمكن أن يمنع المشتري عن شرائها إذا علمها، أي بعيداً عن الإعلان والترويج غير الصادق والصالح.
4. النهي عن النجش، قال صلى الله عليه وسلم (لا تتاجشوا)<sup>4</sup> (رواه مسلم والنجش مطاردة سعر السلعة وزيادته من قبل من لا يريد شرائها، ليقع غيره فيها، وكذلك بيع المسترسل، قال صلى الله عليه وسلم (غبن المسترسل ربا) (رواه أبو داود) الذي هو محتاج للسلعة بشدة، يشتريها بأعلى من قيمتها، والذي يسبب التزخم وارتفاع الأسعار، وانخفاض القيمة الشرائية، وفي المقابل، نهى الإسلام عن تقليل السعر عما تستحقه السلعة للمضر لبيعها لحاجة ماسة لثمنها، وذلك لقوله تعال (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (هود: آية: 85) وكذلك وردت الآية في سورة الأعراف (الآية 85) وسورة الشعراء (الآية 183) وفي كل مواقعها أتى بعدها الفساد في الأرض، للدلالة على أن بخس الناس القيمة الواقعية والموضعية فساداً.
5. النهي عن الاحتكار، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يحتكر إلا خاطئ) وفي رواية (من أحتكر طعاماً فهو خاطئ) (رواه مسلم وأب داود). والاحتكار الإمساك عن البيع وانتظار الغلاء مع الاستغناء عنها وحاجة الناس إليها، والتي تؤدي إلى ارتفاع أسعارها، ومن ثم تقليل الطلب عليها بعد أن حد من عرضها.
6. نهى الإسلام عن تلقي الجلب القادم من البادية بسلعهم إلى المدينة قبل أن يصل إلى السوق، وبذلك يعيق آلية السوق من التقاء العرض بالطلب، وتحديد الكميات المطلوبة والمعروضة عند سعر توازني، وكما نهى أن يكون الحاضر سمساراً لباد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تلقوا الركبان، ولا يبيع حاضر لباد) (متفق عليهما). وهذا النهي حتى لا يخدع البائع الباد من قبل الحاضر لجهله بالأسعار، وربما بكساد ما معهم ليغبنهم، وهنا يحبط المنتج ويزيد من أرباح

<sup>4</sup> كتاب النكاح ص 1033

المشتريين ويزيد الأسعار على المستهلكين, ويخل في آلية السوق وهذا لم يُعرف إلا في أدبيات المدرسة الكلاسيكية.

7. عدم التسعير, قال صلى الله عليه وسلم عندما قالوا الناس للرسول: يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) غلا السعر, فسعر لنا, فقال: (إن الله تعالى هو الخالق, القابض, الباسط, الرازق, وأني لأرجو أن ألقى الله تعالى ولا يطلبني أحد بظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال)<sup>5</sup>. وفي التسعير قد يكون ظلم للبائع أو المشتري وتعطيل لآلية السوق وقوى العرض والطلب وتحديد السعر الحقيقي للسلعة.

وبهذا نجد بأن السوق الإسلامي وفي ظل الامتثال للنواهي السابقة يكون سوق منافسة احتكارية, عدد كبير من البائعين, وعدد كبير من المشتريين, مع حرية الدخول والخروج من السوق, والذي يحقق أقصى إنتاج ممكن بأسعار هي الأقل من كافة الأسواق الواقعية الأخرى, والذي يؤدي ويحفز استغلال الموارد ويشجع فيها المعرفة الحقيقية بأحوال السلع وأسعارها, بالإضافة إلى التعامل السلس في هذا السوق, وصدق في الذي يتميز به لحديثه صلى الله عليه وسلم (رحم الله أمراً سهل البيع سهل الشراء) وحديثه عليه الصلاة والسلام (البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما, وإذا كتما وكذبا نزلت بركة بيعهما)

كما يمكن استنتاج السياسة الإعلانية من خلال ما ذكر بالتالي:

- عدم الثناء على السلعة بما ليس فيها.
- عدم إخفاء ما بالسلعة من عيوب, وإظهار هذه العيوب.
- الإعلان عنها بما يفيد المشتري, وما يهمه معرفته.
- أن يكون في حدود الحاجة دون مبالغة.
- حرية وسيادة التملك.

وهذا كله لم يتحقق في الأسواق حتى الآن, وكذلك في الإعلان, وما يحدث في عالم السيارات واسترجاعها بعد بيعها إلا مثلاً على ابتعاد الإعلان عما ورد في السوق والتسوق الإسلامي.

#### رابعاً: الدخل والاستهلاك والادخار:

يقول تعالى سبحانه (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ) (العنكبوت: آية 17) وقوله تعالى (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولاً فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ) (الملك: آية 15) وقوله تعالى (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) (الفرقان: آية 67)

فالسعي في طلب الرزق فريضة على القادر, وأمر محمود, وتجعل الرزق بالحلال عبادة وطاعة, يؤجر الإنسان عليها بغض النظر عن نوع النشاط الذي يعمل به, ما دام بالمباح, فهو يؤدي إلى حصول الفرد على إشباع حاجاته وتحقيق كفايته, بتسخير ما الكون له, وتذليل العوائق أمامه. إلا أن هذا الدخل وكما أن الحصول عليه يجب أن يكون من مصدر حلال لا شائبة فيه, يجب أن ينفق في الأوجه الصحيحة غير المحرمة, وذلك في ما ورد في الآية الكريمة (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا

<sup>5</sup> رواه أحمد, والترمذي, وابن ماجه



وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) وكذلك في قوله (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأعراف. آية: 31).

وبذلك نجد بأن الدخل يذهب بطريقة الإنفاق إلى الاستهلاك (الإنفاق) والذي يجب عدم الإسراف في التوسع فيه بعد تغطية الحاجات، كما لا يجب البخل والتقتير على النفس (الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) (النساء. آية 37).

و قَوَامًا: هو أن الإنفاق يقسم إلى قسمين، هما الاستهلاك + الادخار، والذي يصاغ بالمعادلة التالية: الدخل = الاستهلاك + الادخار  $Y = C + S$

وبما أن الاستهلاك يجب أن يكون في الحلال ونافع، كذلك الادخار الذي يجب أن يذهب إلى قنوات الاستثمار، وما لم يذهب إلى الاستثمار والمشاركة في الإنتاج يسمى اكتنازاً، وحرّم الرحمن في قوله تعالى في سورة التوبة (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (34) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (35) ) هذا بالإضافة إلى أن هناك زكاة 2.5% من الأموال السائلة والتي تعمل على دفع المال إلى الاستثمار حتى لا تأكله الصدقة. وقد ورد أن العالم المسلم ابن خلدون قد قسم الدخل إلى ثلاثة أقسام، فما كان بمقدار الضرورة والحاجة الملحة سماه معاشاً، وما كان زيادة على الحاجة الملحة سماه رياضاً، أما إن حقق فائض ومدخر فقد سماه رزقاً، ابن خلدون قسم الدخل إلى ما قبل تقاطع دالة الاستهلاك مع خط الدخل المتساوي، والذي يكون فيه الاستهلاك أكبر من الدخل معاشاً، وعند تقاطع دالة الاستهلاك مع خط الدخل المتساوي وهو تساوي الدخل مع الاستهلاك رياضاً، وبعد نقطة تقاطع الاستهلاك مع خط الدخل المتساوي والذي يكون فيه الدخل أكبر من الاستهلاك حيث يكون هناك فائض، فسماه رزقاً، فأى زيادة أكثر من ذلك.

### خامساً: العمل

يختلف عنصر العمل عن باقي عناصر الإنتاج بأنه مادة أودع الله بها الروح سر الحياة والحركة والنشاط، فكانت الحاجيات والغرائز، والإدراك، والإحساس والمشاعر، وردود الأفعال والتي يترتب عليها سعي الإنسان لتلبية هذه الحاجيات وإشباع الغرائز المختلفة التي تتقاطع وتتلقى مع سعي الآخرين، فكان دور الإدراك، ووجوب الاتساق والتناغم ووضع الضوابط وأطر ومحددات. فكان العمل في الإسلامي فرض عين على كل قادر، لا يسقطه إلا عدم القدرة المستندة إلى العذر الشرعي، كأن يكون صغيراً، أو شيخاً كبيراً بلغ من العمر عتياً، أو مريضاً يرفع عنه الحرج والوجوب.

ويأتي الإسلام لحث ولتحفيز الإنسان على العمل وهذا العمل شرف بغض النظر عن نوعيته وطبيعته ما دام حلالاً وصالحاً، يقول تعالى (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليرُوا أعمالهم. فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) (الزلزال. الآيات 6-8) وقوله تعالى في سورة العصر (وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) وقوله تعالى (إِنَّا لَا نُضِيعُ

أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (الكهف آية:30) وقوله تعالى (فنعم أجر العاملين) (الزمر آية:74) والآيات عديدة لتدلل على أهمية العمل.

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
( ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سُرق منه له صدقة ، ولا يبرزوه أحد إلا كان له صدقة) رواه مسلم.

كما قال صلى الله عليه وسلم ((إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر) (صحيح / الألباني) وقوله عليه الصلاة والسلام (فمن أحيا أرضا ميتة فهي له) , وقال أيضاً (أطلبوا الرزق في خبايا الأرض). وقوله عليه أطيب الصلاة والسلام (من زرع أرضا بغير إذن أهلها فله نفقته وليس له من الزرع شيء).

### مبادئ صيانة حقوق العمال:

#### أولاً - العمل شرف:

يقول الله تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (فصلت آية 33). والعمل هنا شاملاً للعمل الديني أي تنفيذ أحكام الشريعة وهو في عمومها يشمل العمل الصناعي والجزاء المادي في الحياة الدنيا.  
وقال عليه الصلاة والسلام (إن أشرف الكسب كسب الرجل من يده).

#### ثانياً - العمل نعمة:

يقول تعالى (لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ) (يس آية : 35) والشكر على النعمة يقتضي حفظها والمداومة عليها.

#### ثالثاً - العامل مسؤول:

يقول تعالى (وَأَلْسُنًا لَّنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (النحل آية 93) ويقول عليه الصلاة والسلام (والخادم (العامل) راع في مال سيده و هو مسئول عن رعيته) وعليه أن يتقن عمله (إن الله يحب إن عمل العامل أن يحسن).

#### رابعاً - رب العمل مسؤول:

يقول عليه الصلاة والسلام (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) ويقول عليه السلام (إِخْوَانُكُمْ حَوْلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ).

#### خامساً - لا عمل من غير أجر:

يقول تعالى (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَاهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) (هود آية:15)

## سادساً – الأجر على قدر العمل:

يقول تعالى (وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (الأحقاف. آية 19)

ويقول (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) (الأعراف. آية 85).

حيث وجب على رب العمل أن يدفع للعامل ما يستحقه.

## سابعاً – الأجر حق لا منة فيه:

يقول تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) (فصلت. آية 8).

## ثامناً – الأجر في حماية الدولة:

يقول تعالى (أَبِي لَأُضِيعَ عَمَلٌ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ دَكْرٍ أَوْ أُنْثَى) (ال عمران. آية 195). ويقول عليه الصلاة والسلام (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه)، ويقول (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره).

وفي هذا حماية للعامل من العدوان عليه في ماله، وأجره المستحق أصبح مالا له وتجب حمايته.

## تاسعاً – العمل على قدر الطاقة:

يقول عليه السلام (ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، فإذا كلفتموهم فأعينوهم) وإعطاء الأجر الإضافي على العمل الإضافي إعانة بلا ريب، يقول تعالى (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا).

## عاشراً – حق العامل في تأمين نفقته:

العامل حق في تأمين نفقاته العائلية لأن ذلك من كرامته (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) (الإسراء. آية: 70). وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي الأهل حظين ويعطي العزب حظاً واحداً [رواه البخاري وغيره]. وهذا تقدير لحق الإنسان في كفايته المعاشية.

## الحادي عشر – حق العامل في الراحة:

يقول عليه الصلاة والسلام (فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينيك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا...) (رواه البخاري). وهذا يعطي العامل الحق في الراحة وأداء العبادة والقيام بحق الزوجية والأبوية.

## الثاني عشر – للعامل حماية المجتمع:

لقد ضمنت قوانين التكافل الاجتماعي في الإسلام حق المواطن في تأمين معيشته وكرامته عن العجز والمرض والشيخوخة، كما ضمنت له حق حماية أسرته بعد وفاته إن مات من غير ثروة، يقول عليه الصلاة والسلام (من ترك مالا فلورثته، ومن ترك ضياعاً (أي ورثه) أو كلاً (أي ذرية ضعفاء فليأتني فأنا مولاه).

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عما يلي:

- استتجار الأجير حتى يتبين له أجره.
- ظلم الأجير أجره من الكبائر.
- البطالة تقسّ ّبي القلب.

### سادسا : التوزيع

اهتم الإسلام بعملية التوزيع بين أفراد المجتمع في كافة أنواع الأموال عني بها غاية العناية، يقول تعالى ((كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ)) (الحشر: 7). وقوله تعالى (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (المعارج: آية 24). وقوله تعالى (واتوهم من مال الله الذي آتاكم) (النور: آية 33). وهذا الاهتمام ينطلق من مرتكزات أساسية:

المرتکز الأول: أن ملكية المال المطلق هي لله سبحانه وتعالى والإنسان مستخلف فيه، ووكيل يرعى هذا المال بما يتفق وتعاليم مالكة الأصلي (واتوهم من مال الله الذي آتاكم) (النور: آية 33).

المرتکز الثاني: نظرة الإسلام إلى الإنسان وتكريمه على سائر الخلق، ووضعها على قمة الكون، وأن هذا الكون مسخراً لتحقيق مهمة الاستخلاف التي تهدف إلى عمارة الكون وعبادة رب العالمين، ولصالح حياة الإنسان ومزاولة نشاطه الاقتصادي الذي يخدم تحقيق متطلبات حياته الضرورية السليمة، قال تعالى (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلُوكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ \* وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ \* وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَطَلُومٌ كَفَّارٌ) (إبراهيم: آية: 34-36).

المرتکز الثالث: إن الهدف الأساسي للتوزيع هو تحقيق إنسانية الإنسان وصون كرامته، وبذلك فهو منطلق إنساني اجتماعي جماعي، وإن العامل الاقتصادي ليس من أولوياته، يقول تعالى (وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْهُ مَسَافِرِينَ فِيهِ) (الحديد: آية: 7). ويقول تعالى (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (النور: آية: 22). وقال صلى الله عليه وسلم (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له)<sup>6</sup>.

المرتکز الرابع: إن الحاجة هي العامل الحاسم في التوزيع، يقول تعالى (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (الذريان: آية: 19). ويقول تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ

<sup>6</sup> الألباني. الجامع الصغير. ص 1107

بِهَا) (التوبة: آية 108), وقوله تعالى (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة: آية 60). وقال صلى الله عليه وسلم (إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم, فإن جاعوا أو عروا فيمنع الأغنياء) (الألباني).

ومن المرتكزات السابقة نجد بأن التوزيع في الإسلام يخضع للإنتاج له, وليس العكس, وبذلك فإن الإنتاج يأخذ الحاجات والمتطلبات الصحيحة للأفراد, ويغير من أن العرض يخلق طلبه إلى أن الطلب يحدد العرض كما ونوعاً, وبذلك يكون الإنتاج أكثر عدالة وأقل تحيزاً في توجهه نحو القادر ومن يملك.

كما يجب الإشارة إلى أن الحاجة هي من المحددات المهمة بالنسبة للتوزيع, مع الإقرار بالتوزيع الوظيفي (والمعاوضة), والتوزيع الشخصي, بما يختص بالفئات غير القادرة على العمل والتي أهملها التوزيع الوظيفي لكونها لم تشارك في العملية الإنتاجية.

هذا بالإضافة إلى عدم خضوعهم للتوزيع الشخصي, ولا ننسى أن هناك مجموعة من المشاركين في العملية الإنتاجية ودخولهم من خلال المشاركة ولا تغطي حاجاتهم الضرورية, والذي يميز الإسلام بوجود أدوات توزيع غير مرتبطة بالإنتاج والذي يعطل الإنتاج كما حدث في الكساد الكبير.

كما يختلف التوزيع في الإسلام من جانب نوعي, حيث نجد بأن التوزيع الوظيفي يرتبط بما يسمى بالتوزيع ما بعد الإنتاج الذي شارك فيه العنصر, ويقصد تحديداً العنصر البشري, إلا أن نمط التوزيع الإسلامي يكون قبل الإنتاج, بالإضافة إلى ما بعد الإنتاج, وبوسائل كثيرة متنوعة, ومنها:

- أ- وسائل توزيع واجبه: كالزكاة, والنفقات, والكفارات, والفيء, وتحريم الاكتناز
- ب- وسائل توزيع أخلاقية إنسانية: حث الإسلام عليها والإتيان بها وهي مندوبة, كالصدقات التطوعية, والكافل, والعارية..... الخ
- ج- وسائل توزيع تخضع لآلية السوق في ظل معايير وضوابط ومحددات, مثل بيع البادي لحاضر, وملاقة الركبان, وعدن النجش والتدليس, وبيع المضطر والدين بالدين, وكذلك تحريم الربا.
- د- وجود بدائل استثمارية وتمويل كالمشاركة, المرابحة, المضاربة, السلم, القرض الحسن, والمصانعة..... الخ.

ويدل كل هذا على أن التوزيع الوظيفي في الإسلام شمولياً, ويتسع مداها بدايةً من حرية الإنتاج الحلال ومن خلال جهاز الأسعار وآلية السوق كأدوات اقتصادية, لكنها ضمن المفهوم الأشمل للمحافظة على كافة أطراف العملية الإنتاجية بالإضافة لتحقيق كرامة الإنسان وسد حاجاته ضمن مفهوم التنمية البشرية المستدامة من حيث توفير

حد الكفاية الذي يشمل المأكل والملبس والمسكن والتعليم والزواج لمن بلغوا النكاح. والذي لم يتحقق حتى الآن في ظل كافة الاجتهادات الاقتصادية.

وما انطبق على التوزيع ينطبق على التوزيع الشخصي الذي جاء إعجاز في الإسلام وخصوصاً في قانون الإرث الذي أعطى الحقوق لأصحابها دون تمييز بين ذكر وأنثى والأبناء والآباء، الأحفاد والأجداد. وقد اتسع هذا ليشمل من حضر القسمة، قال تعال (لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ) (النساء: آية:7). ويقول تعال (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) (8: النساء).

كما يتضمن هذا النوع من التوزيع الأوقاف وتحويل ملكية خاصة لعامة للانتفاع بها لأكبر عدد من البشر، إحياء الأرض الميتة، والاحتجاز وهو تحويل الملكية العامة غير المستقلة إلى خاصة لزيادة الانتفاع بها، قال عليه الصلاة والسلام (أحيا أرضاً ميتة فهي له، وليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين)<sup>7</sup>.

مع كل ما سلف، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم (الناس شركاء في ثلاثة: في الكلاً، والماء، والنار) (رواه أحمد وأبو داود ورجاله ثقات) ، وفي رواية الملح قال العلماء بأن هذا ينطبق على كل ما هو ضروري لحياة الفرد والمجتمع.

وبذلك نجد بأن التوزيع في الإسلام أعطى لحركة الحياة الاقتصادية الاستمرارية والقوة من خلال التوقع الإيجابي، والتركيز على ما ينفع الناس، تصديقا لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر).

وبذلك يمكن صياغة دالة الدخل المتصرف به للمسلم كما يلي:  
الدخل المتصرف به = الاستهلاك المضبوط بالقواعد الشرعية + الادخار المتجه للاستثمار بالضرورة وعدم انقطاعه في كل زمان ومكان، وربطه بالمعتقد الديني المترتب عليها 2.5% زكاة و تعمل على فناء الرصيد النقدي إن لم تستثمر + الإنفاق على الحقوق والواجبات المترتبة على ملكية الأموال (صدقات، كفارات....).

## الاستنتاجات

(1) يُستنتج مما سلف، بأن هناك زيادة ومعرفة من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي أخبرت بالكثير من أمور المعرفة التي ظهرت واكتشفت وما زالت تكتشف، فمنها ما فسره

<sup>7</sup> الألباني. الجامع الصغير، القاضي أبو يوسف، كتاب الخراج والفتح الكبير، المجلد الثاني، ط2، 1986، المكتب الإسلامي، المطبعة السلفية

المصطفى صلى الله عليه وسلم في حينه، ومنها ما سكت عنها إما وحيًا من الله تعالى أو اجتهاداً منه، ولو فُسرَت الكثير من الآيات في ذلك الوقت حسب مفهومهم لكانت الآن غير مفهومة، ولو أنها فُسرَت حسب ما هو عليه اليوم أو الغد، لاستعصى فهمها على أهل ذلك الوقت وعلمائه، وسبحانه القائل (ما فرطنا في الكتاب من شيء) (الأنعام 38).

(2) نستنتج بأن الإخبار والريادة في المعرفة والعلم في نصوص القرآن والسنة ما زال الكثير منها لم يكتشف بعد، وفي شتى مجالات العلوم والحياة، فمنذ الاكتشافات الحديثة التي تطابقت تمام المطابقة مع ما ورد في النصوص، مثل سرعة الضوء، المواقيت، وحركة الكواكب، بالإضافة إلى ما أخبرت به النصوص من ريادة في خلق الإنسان، كأطوار الجنين، والقلب، والدماغ، وصدق الله تعالى عندما قال (سُنُّرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت. آية: 53). وبذلك فأنا نستطيع عكس قول بأن المعرفة في العالم الإسلامي منقولة، ويمكن القول أن هناك مرجعيات للمعرفة من خلال النصوص، ويجب التنويه بأن هذا لا يعني أن القرآن كتاب علم وإنما كتاب إخبار بالحياة.

## التوصيات

(1) يوصي البحث أن يكون هناك هيئة تجمع بين شتى العلماء، وفي مختلف مجالات العلم، وعلماء التفسير، للاستفادة مما ورد في

النصوص من علوم يُكتشف كل يوم منها الجديد, ولا تنتهي معجزاتها وأخبارها بما يفوق استيعاب أي زمان أو مكان محدد.

(2) أن لا يقارن النص بالنظرية العلمية كون النظرية العلمية قد تتغير أو تدمحض مع تقدم العلم والمعرفة والاكتشافات, وإنما تصح النظريات على النص.

## المراجع:

1. . الجامع الصغير, القاضي أبو يوسف, كتاب الخراج والفتح الكبير, المكتب الإسلامي, عمان ط2, 1986.
2. البخاري, محمد بن إسماعيل, الجامع الصحيح, دار إحياء التراث العربي, بيروت, بدون تاريخ.
3. الصدر, محمد باقر الصدر, إقتصادنا, دار الكتاب اللبناني, بيروت 1977



4. عوض, أحمد صفي الدين, السوق في الإسلام, مركز البحوث الإسلامية, السودان, 1991.
5. أبو يوسف, القاضي, كتاب الخراج, المطبعة السلفية, الطبعة الثانية, 1382
6. النابلسي, محمد راتب النابلسي, موسوعة الإعجاز العلمي والقرآن والسنة, آيات الله في الأفق, دار المكتبي للطباعة والنشر, دمشق, ط2, 2005
7. النابلسي, محمد راتب النابلسي, موسوعة الإعجاز العلمي والقرآن والسنة, آيات الله في الإنسان, دار المكتبي للطباعة والنشر, دمشق, ط2, 2005